العامل السيكولوجي في الدراسات والبحوث السوسيولوجية
(الاقتراب النظري بين علم النفس وعلم الاجتماع)

The psychological factor in sociological studies and research
(Theoretical approach builds psychology and sociology)

د. أحمد مداس [1*]، د . مختار عروي [2]

[1] جامعة زيان عاشور - الجلفة (الجزائر) .

[2] مخبر إستراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر

جامعة زيان عاشور - الجلفة (الجزائر) .

تاريخ الاستلام : 30 سبتمبر 2020 ؛ **تاريخ المراجعة :** 15 نوفمبر 2020 ؛ **تاريخ القبول :** 23 جانفي 2021

ملخص:

يهدف هذا المقال العلمي إلى تأكيد أهمية وتأثير العامل السيكولوجي في الدراسات السوسيولوجية ، باعتبار انه لا يمكن أن يقتصر التفسير العلمي عموما على عامل واحد فقط ، وبالتالي عدم إهمال تأثير العوامل النفسية للفرد في نتائج البحوث الاجتماعية . إن هذا التعدد في المداخل ساهم في إثراء الامتداد المعرفي ، والتوجه النظري لعلم الاجتماع نحو علم النفس خصوصا ، وساهم في تشكيل نواة علم النفس الاجتماعي كعلم يبحث في مواضيع ذات طابع اجتماعي ونفسي ، انطلاقا من الفرد دون تجاهل أبعاد السياق الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: عامل سيكولوجي، دراسات سوسيولوجية، طابع اجتماعي، علم النفس الاجتماعي، نزعة سوسيولوجية.

Abstract:

Research in the field of sociology has tended to emphasize the importance and impact of the psychological factor in sociological studies, considering that scientific interpretation in general cannot be limited to a single factor, and therefore does not neglect the influence of the individual's psychological factors in the results of social research. This multiplicity of entries has contributed to the enrichment of cognitive extension, and to the theoretical orientation of sociology towards psychology in particular, and has contributed to forming the core of social psychology as a science dealing with subjects social and psychological, starting from the individual without ignoring the dimensions of the social context.

Keywords: Psychological factor, sociological studies, social character, social psychology, sociological tendency.

*Corresponding author: e-mail: madasseahmed@yahoo.fr .

1- مقدمة

لقد نشأ علم الاجتماع وتطور علما فتيا منفصلا عن الفلسفة ، يبحث عن هوية علمية تميزه عن بقية العلوم الاجتماعية، لم تفلح وضعية **أوغست كونت** Auguste Comte في إرساء دعائم هذا العلم، نظرا لخصوصية الظاهرة الاجتماعية، موضوع الدراسة ، ورغم النزعة السوسيولوجية المفرطة **لدوركايم** Émile Durkheim ، إلا انه لم يفلح تماما في رسم حدودا واضحة لهذا العلم ، لكن إسهامات **ماكس فيبر** Max Weber كانت بمثابة إشارة انطلاق لمحاولة هادفة ، نحو فهم الواقع الاجتماعي ، دون إهمال العوامل السيكولوجية ، إنها نقطة البداية ، لنشأة وتطور جسر بين العلمين، لتعلن عن ميلاد علم النفس الاجتماعي .

1. النزعة السوسيولوجية واستبعاد دوركايم للتفسير السيكولوجي:

يقول اميل دوركايم " إذا اتخذ الباحث في علم الاجتماع الفرد نقطة بداية لدراسة الظواهر الاجتماعية فلن يستطيع فهم حقيقتها " (أبو النيل، 2013، ص 123) تكشف هذه المقولة عن النزعة السوسيولوجية لدوركايم، فلقد أراد أن يكشف عن هوية علم الاجتماع، كعلم مستقل، قائم بحد ذاته ، يختص بدراسة الظواهر الاجتماعية ، وقد نجد مبررات واقعية لهذه النزعة، في كون علم الاجتماع كان لا يزال في مراحله الأولى، وبالتالي فهو يبحث له عن معالم تميزه عن بقية العلوم الاجتماعية .

لقد خاض علم الاجتماع الدوركايمي معاركا شرسة ليدافع عن حدود" السوسيولوجى" ضد التفسيرات السيكولوجية، معتبراً الأخذ بالتفسيرات النفسية اختزالا للظاهرة الاجتماعية، وتشويها لها (مارشال، 2007، ص 13)، وعلى سبيل المثال اعتمد دوركايم في دراسته للانتحار على الإحصائيات العلمية، واستبعد العامل النفسي كتفسير للانتحار، وأكد انه سلوك اجتماعي ، نتيجة قوى اجتماعية، تتجاوز الفرد، وقد تجاهل الاضطرابات النفسية كأسباب مصاحبة للانتحار (بوالفلفل، 2018، ص 78).

من خلال هذه النظرة الدوركايمية " للاجتماعى"، والحدود الصارمة التي رسمها لعلم الاجتماع أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، حارب دوركايم التفسيرات السيكولوجية وابتعد بقوة عن الفلسفة ، ونادى بأن تفسر الظاهرة الاجتماعية بظواهر اجتماعية من جنسها، وليس بعوامل نفسية ، أو اقتصادية.. (مارشال،2007، ص 11) لقد فصل دوركايم بين الوقائع النفسية ، وطبيعة الظواهر الاجتماعية فصلا تاما ، حيث أكد أن الطريقة الوحيدة لتفسير الظواهر الاجتماعية ، هي بالرجوع إلى ظواهر اجتماعية أخرى من نفس نوعها ، وحدد القاعدة في ذلك على النحو التالي : يجب البحث عن سبب وجود الظاهرة الاجتماعية بين الظواهر الاجتماعية التي سبقتها ، وليس بين الحالات النفسية التي يشعر بها الفرد ، وقد أوضح أن الهوة الموجودة بين علم النفس وعلم الاجتماع ، هي نفسها التي تفصل بين علم الحياة وبقية العلوم الطبيعية (علي محمد 2004، ص 203)، وللتوضيح أكثر فان دوركايم يعتقد أن الظاهرة الاجتماعية طورت لنفسها نوعا من الاستقلال عن الأفراد، ثم أضحت تواجههم ، باعتبارهم أشياء خارجيا عنها، وفي ذلك يقول " يوجد في كل مجتمع ظواهر اجتماعية محددة، تتميز عن غيرها التي تدرس في العلوم الأخرى، فهي طرائق للسلوك ، والتفكير والشعور ، تتواجد خارجة عن ضمائر الأفراد ، وكمثال عن ذلك : إن واجباتي كمواطن أو موظف أو تاجر ، قد تحددت في القانون أو العرف الأخلاقي ، قبل أن أمارسها بصورة مستقلة عن ذاتي ، وكذلك فان اللغة التي

نتواصل بها مع الآخرين لها وجود ذاتي مستقل عن وجودنا ، فهي ظواهر وجدت قبلنا ، كما أنها تفرض نفسها علينا ، ويضيف يوجد في الجماعات حركات واتجاهات ، وأنواع من سلوك الانفعال لم تنبعث من شعور الفرد نفسه" .. وينهي دوركايم قوله بان علم النفس يختص بدراسة الفرد ، أما علم الاجتماع فهو يتجاوز كل مقتضيات الفرد ، ليعنى بما هو اجتماعي وعام . (م ليان ، 2013 ، ص ص 25-26) هذه النظرة المتميزة لدوركايم لم تدم طويلا ، بفعل التحديث في تيار المعرفة الذي يحمل انتماءات متعددة ، والذي فعل فعله ، وقارب بين تلك الكيانات المعرفية المتعددة التي تدرس الحياة الاجتماعية للإنسان (مارشال ، 2007 ، ص 11)، حيث ظهرت تيارات جديدة في علم الاجتماع ، تخالف نظرة دوركايم ، وتؤسس لبناء معرفي جديد..

2. الاتجاه النفسي في علم الاجتماع (اتجاهات جديدة ورؤية معاصرة لعلم الاجتماع):

اتخذت مسيرة علم الاجتماع لنفسها على امتداد القرن العشرين، خطاً ظل يتباعد عن رؤية دوركايم، ويعدل من نظرته إلى" السيكولوجى ."وذلك لأسباب أهمها بروز التحليل النفسي في أوربا، ثم انتقاله إلى الولايات المتحدة، إضافة إلى اتساع رقعة البحث في مجال علم النفس الاجتماعي، كموضوعات: الاتجاهات، والتفاعل، وديناميكيات الجماعة، والتعصب لتساعد في تكامل النفسي والاجتماعي، وفي مجال العلاج النفسي بات الاهتمام بالأمراض النفسية ذات الأسباب الاجتماعية يمثل استجابة للتطور الحادث في تلك المجتمعات، حيث اكتسب العلاج النفسي قبولاً اجتماعيا . إن هذا الانتباه" للسيكولوجى "فى دراسة الظواهر الاجتماعية، سوف يتجلى بصورة ملموسة في اهتمام الدراسة السوسيولوجية لعدد من الموضوعات والقضايا النفسية، حيث نوجز أهمها في الجدول التالي: (مارشال،2007، ص،13)

جدول يوضح بعض المواضيع و القضايا النفسية التي دخلت مجال البحث الاجتماعي

القضية النفسية أو الموضوع	المجال الاجتماعي
أزمات المراهقة	علم الاجتماع التربوي / المدرسي/ الجنائي
العلاج بالتنفيس	الخدمة الاجتماعية /التوجيه والإرشاد /التربوي
العلاج السلوكي	التربوي / المدرسي / الديني
الارتباط الشرطي	التربوي / المدرسي
الاكتئاب	التنظيم والعمل /التربوي /المدرسي
القياس النفسي	التربوي / المدرسي/ التنظيم
الاتجاهات والميول	التربوي / المدرسي/ التنظيم
الحاجات	التربوي / المدرسي/ التنظيم
الدوافع	التربوي / المدرسي/ التنظيم / الجنائي
إدراك الذات	التربوي / المدرسي/ التنظيم / الجنائي
الجندر أو النوع الاجتماعي	علم اجتماع المرأة /الديني

المصدر: مارشال، 2007، ص 13 .

من أوائل علماء علم الاجتماع الذين أرسوا دعائم هذا التقارب بين علم النفس والاجتماع ، نجد **ماكس فيبر** ، حيث اتجه نحو التفسير السيكولوجي أثناء دراسته لعلم الاجتماع ، فمن خلال إسهاماته حول تصوره للمجتمع ، نجد انه ينظر إليه على انه كل مركب من علاقات اجتماعية متبادلة ، يتميز بالسلوك ذي المعنى ، الصادر عن مجموعة من

الفاعلين ، أي أن الوحدة الأساسية للبحث السوسيولوجي عند فيبر تتمثل في الفعل الاجتماعي النموذجي أو الفرد ، الذي أطلق عليه الوحدة الأساسية للمجتمع ، رغم انه لم يثر مشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وهو بذلك ينكر وجود عامل واحد يسهم في تشكيل المجتمع ، (تيماشيف ، 1996، ص 274). هذه الرؤية الموضوعية لعلم الاجتماع ، والتي تتسم بالشمول والتكامل ، والاهتمام بعلم الاجتماع التطبيقي ، هي التي ترجمت الرغبة القوية والملحة لعلماء الاجتماع المعاصرين ، في أداء دور إيجابي لترشيد السياسات الاجتماعية ، وخدمة عمليات صنع القرار في المجتمع المعاصر، لأنه لا يوجد موضوع أو ظاهرة لا تشمل البعد النفسي أو الاقتصادي أو الصحي أو القانوني (مارشال 2007، ص 29)، هذا التوجه النظري قوبل بالنقد ، حيث أن أصحاب التفسير النفسي السيكولوجي يعتقدون أن السلوك الاجتماعي ناتج عن التكوين النفسي للأفراد ، وهذا النوع من التوظيف للمداخل النظرية شائع للغاية ، ويبدوا تفسيرا مرنا في مجال النقد الاجتماعي ، ولكنه يفتقر لنوع من العقلانية ، باعتباره يؤسس لتفسير أحادي الجانب،(جونز 2015، ص 43) أما أصحاب التفسير الاجتماعي فيرون أن علم الاجتماع قد تحول مع ماكس فيبر إلى مبحث سيكولوجي ، يعنى بدراسة الفرد من الداخل ، بدل دراسة المجتمع دراسة علمية تجريبية موضوعية ، إضافة إلى التشديد على الجوانب الذاتية في الحياة الاجتماعية ، أي حاجات الأفراد ودوافعهم ، الأمر الذي أدى بعلم الاجتماع إلى الاقتراب من حافة التفسيرات السيكولوجية للظواهر الاجتماعية ، فقد أكد ماكس فيبر على ضرورة فهم الأفراد ومصالحهم ومشاعرهم ، ومع أهمية هذه النقطة ، فإن المبالغة فيها أفضت إلى آراء ودراسات فردية ، أثرت في خط سير علم الاجتماع بعد ذلك ، حيث تحولت الدراسات إلى أشكال قيمية نسبية خنقت البحث العلمي الموضوعي في علم الاجتماع. (حمداوي 2015، ص 54).

وبشكل أكثر موضوعية ، فإن تحليل ماكس فيبر لقضية "الفهم" يثير مسالة العلاقة بين علم النفس والاجتماع بشكل واضح، في حين يتصور البعض أن فيبر قد طمس الخط الفاصل بين العلمين ، وجعل علم الاجتماع تابعا لعلم النفس، والواقع أن فيبر لا ينكر و لا يهمل علم الاجتماع ولا يقزم الدور الذي يلعبه علم النفس في التفسير السوسيولوجي، وبالتالي فهو لا يوافق على هذه التبعية المزعومة، إذ يعتقد أن الأنماط المركبة للعلاقات الاجتماعية إنما تتخذ لها شكلا بنائيا ، يكون فيه التحليل على المستوى الجماعي ضروريا ، لفهم العناصر المكونة لهذه البناءات الاجتماعية ، وعن المجتمع ومكوناته يؤكد ماكس فيبر على إجراء أساسي لا يتمثل في البدء بتحليل الخصائص النفسية ثم الصعود نحو تحليل النظم الاجتماعية ، ولكن على العكس تماما فان معرفة الظروف السيكولوجية والنتائج المصاحبة للنظم الاجتماعية ، يتطلب معرفة محددة بهذه الأخيرة. (علي محمد، 2004، ص301)، من هذا المنطلق، أضحى علم الاجتماع بعد ماكس فيبر حاسما في نقده العقلاني للنظريات الاجتماعية نفسها، والذي لا يقتصر على المنافسة والنقض، بل إزالة التسييس عنها وتفحص حالات عدم اليقين فيها، وتحليل العيوب، إضافة إلى توضيح جوانب النجاحات فيها ، وباسم الحيادية البديهية الوصول إلى تحدي وإدانة المجتمع المحلي أثناء الدراسة ، وبذلك نتوصل إلى الامتناع عن اللجوء إلى الواقعية الشمولية للهياكل والأنظمة والحقول، وغيرها من التوليفات الشاملة التي أزعجت مؤيدي النزعة الفردية الليبرالية (الرأسمالية، الاستغلال، السوق العالمية، الصراع الطبقي..) هذا الموقف مثالي لأنه يتمتع بميزة الانفتاح، وخاصة أنه يقيد جميع التيارات الاجتماعية الأخرى، ليضع نفسه في مواجهة الموقف الحرج نفسه، إما لدحضه أو للدفاع عنه، أو لتكييفه من وجهات نظر مختلفة، لذلك نحن أمام علم اجتماع يحمل خدمات

جيدة للمجتمع، علم اجتماع متلائم سياسيا، يتماشى مع مصالح ومطالب وأوامر القوى الاقتصادية، ونوع السياسات السائدة..(Brohm .2004 . p p 71- 72) ويتجلى هذا الاتجاه التحديثي في علم الاجتماع في تناول مواضيع ومجالات جديدة، كالدراسة الاجتماعية للجسد، الإسكان، الشيخوخة، العولمة، واقع الحياة اليومية، العمالة المأجورة، العمل المنزلي، الاستعمار الداخلي .. ونصادف رؤية جديدة حول : الطبقة الاجتماعية ، الفقر، الحرمان، الحراك والثورات .. إضافة إلى مواضيع أخرى كالتجديد الديني، الثقافة المضادة، الثقافة المسيطرة .. (مارشال ، 2007 ، ص 33) وفي مجال الإرشاد والصحة النفسية ، تم الاعتماد على مفاهيم الاتجاه الإدماجي الانتقائي، المبنية على التكامل بين مختلف الاتجاهات والمداخل النظرية في علم النفس والاجتماع، التي تخص الفرد والسياق الاجتماعي له، إضافة إلى الحرص على اختيار أنجع التقنيات والأدوات المنهجية، التي تؤدي إلى تحقيق نتائج ملموسة، وذلك عن طريق البرامج العلاجية والتصميمات التجريبية المختلفة ، ومن الأمثلة النظرية الاستفادة من تطبيقات التحليل النفسي الاجتماعي وصولا إلى تصورات النمو الاجتماعي لايركسون ومبادئ النظرية السلوكية الاجتماعية لباندورا.. (براهيمي و بوعمامة 2017 ، ص 21) .

اعتبر الباحثون في مجال النظرية الاجتماعية، أن علم الاجتماع من أكثر العلوم تمددا وطموحا، فهو استمرار منطقي للبحوث والدراسات وتنوع المداخل، يعتقد كونت أن العلوم تتطور وفقا للتسلسل الهرمي، الرياضيات والفيزياء أولا ثم الموضوعات الأكثر صعوبة (الكيمياء ، علم الأحياء) ثم المنطق الأكثر أهمية وتعقيدا، ولكن لا شيء أكثر أهمية ولا أكثر تعقيدًا من المجتمع، وبالتالي فهو في هرم التطور، نجد اليوم علم اجتماع جديد لا تسيطر عليه أي شخصية أو مؤسسة، كما فعلت بعض المدارس التقليدية بدءا من مدرسة شيكاغو في أوائل القرن العشرين، رغم أن معظم علماء الاجتماع المعاصرين الباحثين في مجالات جديدة يستخلصون إلهامهم من عمل أسلافهم ، وغالبا ما تكون إسهاماتهم حريصة على الإجابة على الأسئلة التجريبية المحددة بدلا من التصريح أو التحقق من النظريات الاجتماعية الكبرى . (Gabler EtTrémoulina . 2013 . P P 146-118) إن هذه الخصوصية النوعية - لعلم الاجتماع كعلم - وصفت بأنها شرط عقائدي ، عندما يتعلق الأمر بالتحديد والتأسيس في النقاش المعرفي، عن طريق حجة السلطة العلمية ، وهذا لا يمنع الخبراء والباحثين من تنحية النماذج التقليدية المسماة غير علمي، غير صارم ..إضافة إلى قراءة الإبعادات التي تخضع لها أنواع معينة من المعرفة في علم الاجتماع، وخاصة المعروفة باسم المعرفة الوهمية، لقد أشار مثلا ريمون آرون إلى مفارقة أن بعض علماء الاجتماع مثل الماركسيين كانت لديهم ميولات لتسوية حسابات الجميع، ما عدا حساباتهم الخاصة مع أنفسهم، وأشار إلى أن الكثير من الأعمال المفترضة فقدت مصداقيتها بسبب طابعها غير العلمي (Brohm .2004 .pp 77-78)

3. دراسات وبحوث اجتماعية ذات بعد سيكولوجي:

تعتبر وحدة التحليل النموذجية للدراسة العلمية، أول القرارات في أي من البحوث النفسية أو الاجتماعية، وتشير وحدة التحليل إلى :

- الفرد المستهدف في البحث . object

- الجماعة(collective) ، المنظمة ، المجتمع الكلي ..

- شيء معين، موضوع مجرد...

إن توظيف وحدة التحليل في الدراسات والبحوث الاجتماعية وخاصة بين علم النفس والاجتماع ، تبين وحدة المدخل، فعلى سبيل المثال من أجل دراسة العمل الجماعي في المؤسسات، يمكننا اختيار فرد واحد من المجموعات السائدة داخل المؤسسة، ثم نقوم بانجاز متوسط القياس عن المجموعات ، للحصول على نتائج عامة ، تخص المنظمة وفقا للمتغيرات المختارة .. (باتشيرجي 2015 ، ص 38) وفي الجدول التالي أمثلة عن الوحدات المستهدفة أثناء التحليل :

جدول يوضح أمثلة عن الوحدات المستهدفة أثناء التحليل

الفئة	الموقف	الوحدة المستهدفة
سلوك الأشخاص أثناء التسوق	استعمال التقنيات الحديثة	**دراسة الفرد**
مميزات عصابات الشوارع	الانحراف والإجرام	**دراسة الجماعة**
تحسين إنتاج المؤسسات	المعاملات الاقتصادية	**المنظمة ،رغم أن الأفراد هم من يتخذون القرارات**
جعل صفحات الويب أكثر جاذبية	الاستعمال في العالم الافتراضي	**صفحة الويب وليس المستخدمين**
نقل المعرفة بين منظمتين	التكامل المعرفي	**مزدوجة (منظمتين)**
سبب ارتفاع الجريمة	العلاقات اليومية	**الحي وليس الجريمة أو الأفراد**
مقارنة بين أنواع الجرائم	الحياة الاجتماعية اليومية	**الجريمة**
انخراط المجرمين في النشاطات غير المشروعة	الحياة الاجتماعية اليومية	**دراسة الفرد**

المصدر: باتشيرجي، 2015، ص 40.

أ / المحاكاة والتقليد (الأساس النفسي للفعل الاجتماعي)

دخل G.Tarde في جدال مع إميل دوركايم حول طبيعة علم الاجتماع، كشفت نزعة دوركايم السوسيولوجية واقتراب تارد من التوجه النفسي، ويعتبر تارد احد مؤسسي علم النفس الاجتماعي، حيث كان يعتقد بإقامة علم اجتماع لا يهمل العوامل السيكولوجية، لذلك اختزل العمليات الاجتماعية في ظاهرة المحاكاة والتقليد، التي يرى أنها تستطيع تفسير الانتشار الثقافي، وأن علم الاجتماع يقوم أساسا على محاولة الكشف عن القوانين الاجتماعية، التي تحكم هذه العمليات، لقد دافع تارد عن النزعة الاسمية الاجتماعية، فلم يكن يرى أن هناك وجودا واقعيا للأفراد، بل يعتقد أن كافة الظواهر الاجتماعية، تتبلور مستقلة عن الأفراد، ويمكن في نهاية المطاف اختزالها إلى علاقات بين شخصين، يحملان نفس الأفكار، ويحسان بذات المشاعر، ويقلدان بعضهما أثناء عملية التفاعل (مارشال 2007 ، ص 290)

يعتقد G. Tarde أن قوى الرغبات والمعتقدات هي أصل تكوين المجموعات العلائقية في المجتمع، وفقًا للشروط التي ينطوي عليها وجودها، وبالتالي الحد الإلزامي للفردانية ، يتساءل تارد اذن ماهو المجتمع ؟ انه الحيازة المتبادلة في أشكال مختلفة، والتي تترجم اجتماعيًا إلى نوع من الترابط الذي يحمل خصائصا معينة،مثل انعكاس التأثيرات، تعدد القرارات، إمكانية تبادل المواقف المتساوية ..كل هذا نجده داخل مساحة ، محورها تسلسل هرمي . هذا النموذج العام في مفهوم الاجتماعي الذي يدافع عنه Tarde من خلال التماس بعض المفاهيم الخاصة، التي تفكك مسألة سوسيولوجيا الشبكات الاجتماعية، وعلم النفس الاجتماعي،أي علاقة الفرد بالمجتمع عن طريق فكرة التقليد والمحاكاة

في بعدها الترابطي، كشكل من أشكال التفاعل،أو ما يسمى بالحياكة الخفية والصامتة للعلاقات الاجتماعية، داخل مجتمع يعتبر فضاءا شبكيا للدوران، وتبادل التدفقات المقلدة، بين الأفراد المبدعين، وفي منطق التقليد هذا، تتداخل مفاهيم ثلاثة : التكرار، التكيف، المعارضة، وانطلاقا من كل هذا صاغ Tarde مفهوما عاما للتقليد الاجتماعي، بأنه مجرد تعبير عن التعاطف، ومزيج من المشاعر الودية، واستدل بالتبادل التلقائي بين الأفراد المتقاربين دون معرفة مسبقة بينهم، من خلال العديد من الخيوط غير المرئية، وبطرق لا تعد ولا تحصى مثل : الكلام، التفكير،الشعور، السلوك . ويدعو Tarde في نهاية المطاف إلى تعريف المجتمع بأنه " منظمة عقلية " ذات فئات اجتماعية أصلية، تشكلت بفعل النقل الفوري للأفكار عن طريق التقليد (Letonturier . 2005 p p 41-42)

ب / الهوية والتمثلات الاجتماعية (الديناميكية الاجتماعية ذات الأبعاد النفسية):

يتجلى مفهوم الهوية كما عبر عنه فيشر G.fischer في تركيب، يبين تمفصل السيكولوجي بالسوسيولوجي ، أي التعبير عن حصيلة التفاعلات المعقدة بين الفرد والمجتمع ، إنها الوعي الاجتماعي ، الذي يكونه الفاعل الاجتماعي أو الفرد عن نفسه وعن القضايا المحيطة به ، خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، لذلك فهي تحتل موقعا في السلوك الفردي ، فهي تشكل حسب المنظور النفسي الاجتماعي أنظمة ضابطة للسلوك ، والفعل المقصود ، الذي يحمل الدلالة ، ونتائج الاختيار ، والتقييم الذاتي، وبعبارة أخرى، فان فمسالة الهوية ترتبط بالمشاعر التي يكتسبها الفرد، خلال النمو النفسي الاجتماعي، فهي تلعب دورا هاما في تحديد درجة ونوع التفاعل أثناء المواقف الاجتماعية (حدية،2013، ص113).

للتمثّلات الاجتماعية بُعدين الأوّل نَفْسي ، والثاني اجتماعي ، ولكونها تكوّن جزءا كبيرا من عَالمنا الدّاخلي ، فإننا نلجأ إليها عندما لا نستطيع التكيف مع الآخرين ، أمّا أثناء التفاعل مع الآخرين فإنّها تُرشدنا إلى ما يجب فعله، لأنّها تلزمنا بالتقيّد بالقيم والمعايير الاجتماعية ، وعدم الخروج عن السياق الثقافي للمجتمع ، وفي هذا السياق أكّد zajde من خلال مُلاَحظاته لحاجة الفرد نحو التمثلات الاجتماعية ، لتحقيق أعلى درجات التوازن النفسي ، بقوله " إذا أردنا زعْزَعة شخص ، وإضعَاف قُدراته العقليّة ، علينا إزالة عمليّة التمثّل الاجتماعي لديه، وذلك بعزله عن محيطه الاجتماعي، حتى يعجز عن فهم وتأويل ما يحدث له . أما Botella فيرى أن الخطر الحقيقي لا يَكْمن في انعدام موضوع التَمثُّل بسبب العزل عن المحيط الاجتماعي، ولكن في انعدام عمليّة التمثّل في حدّ ذاتها ، لان ذلك يؤدي إلى حدوث توتُّر كبير لدى الفرد ، ينتهي بصدْمة نفسيّة ، وبالتالي فإن تَمثُّل الفرد للمحيط الاجتماعي والعالم الخارجي على شكل صور ذهنية ، هو دليل قاطع على أنّنا نتمتّع بصحة نفسيّة جيّدة ، وهذا ما أكّدته مدرسة التحليل النفسي(السويسي، 2016، ص 48) لهذا يحتاج تشكيل الهوية ونماذجها الثقافية في الوعي الفردي، إلى سياق وديناميكية معينة ، أحد محركاتها عملية الضبط الاجتماعي، وقد أوضحت أعمال فرويد وميد وبياجي أهمية التنشئة الاجتماعية في استنباط المعايير الاجتماعية، واندماجها في الجانب النفسي للشخصية، لتصبح جزءا لا يتجزأ منها، عن طريق آليات الامتثال للجماعة داخل المجتمع(عماد،2019، ص113).

عند البحث في موضوع التمثلات الاجتماعية للفرد، يجب على الباحث توظيف الأبعاد النفسية للمعرفة الاجتماعية، وعدم إهمال السيطرة والقوة الاجتماعية، إضافة إلى الفعل الاجتماعي، لما لذلك من تأثير في علاقة الفرد مع الجماعة التي ينتمي إليها والجماعات الأخرى، ومن ناحية أخرى فان التمثلات الاجتماعية في دراستها، تحدد لنا كل أشكال الفكر

العملي الموجه نحو عملية الاتصال بين الأفراد ، لفهم آليات الواقع الاجتماعي والتحكم به ، هذه الأشكال هي في الحقيقة جزء من العمليات المعرفية العامة ، والعمليات الوظيفية المرسخة اجتماعياً ، والتي لها علاقة بمعالجة المثيرات الاجتماعية بوقائع التفاعل الاجتماعي من

جهة، ومن جهة أخرى، فان لها علاقة بتأثيرات الانتماء الاجتماعي للفرد(عناد مبارك، 2012 ،ص 128)

ج / الانحراف والمشكلات الاجتماعية(النموذج البيونفسي اجتماعي):

يتجلى الاقتراب النظري بين علم النفس والاجتماع، في إسهامات احد عمالقة المدرسة النفسية والاجتماعية جون دولارد john dollard الذي قدم نظريته المفسرة للجريمة والانحراف، حيث أوضح أن العدوان ينتج بفعل الإحباط ، و قد سمح له ذلك بكشف التأثيرات النفسية للتركيب الاجتماعي، على تنظيم الشخصية والسلوك، وافترض أن الفرد يتعلم في وقت مبكر،خلال عملية التنشئة الاجتماعية ،كبح جميع الاستجابات العدوانية ، ولكن الإحباط الذي يتعرض له أثناء المواقف الاجتماعية ، يؤدي إلى حدوث السلوك العدواني (معتوق، 2008، ص 163) .

تعود معظم أسباب ظاهرة الجريمة والانحراف، إلى تأثير العوامل الاجتماعية، التي تظهر على شكل خلل يصيب البناءات والنظم الاجتماعية، وخاصة النظام أو الحقل التربوي، على حد تعبير بيار بورديو ، ولذلك فالتفاعل الاجتماعي بين الأفراد في المواقف الاجتماعية ، عامل قوي في تشكل نماذج الانحراف ، ويتداخل العامل النفسي مع الاجتماعي بقوة في تفسير ظاهرة الجنوح والانحراف ، فمشكلة القلق والشعور بالإحباط والعجز عن التكيف الاجتماعي ، كلها دلالات ومؤشرات عن اتجاهات اجتماعية وميول نفسية ، تدفع إلى الانحراف والجريمة، كما يربط بعض علماء النفس بين بعض الأمراض النفسية التي تصيب الفرد ، وظاهرة الجريمة والانحراف، ومن ذلك وجود خلل ما في البنية النفسية أو العصبية للفرد كوجود ملامح لـ : الهستيريا، النورستانيا، السيكوباتية، عصاب القلق والقهر.. (نجم،1999،ص10)

وفيما يخص سلوك المخاطرة لدى المراهقين ، فان النموذج البيونفسي الاجتماعي يدمج بالأساس مجالين بحثيين هما :

- **النموذج الأول:** يهتم بالعلاقة بين النمو الجسماني والجوانب النفسية الاجتماعية خلال فترة المراهقة.

- **النموذج الثاني:** يهتم بالارتباطات النفسية الاجتماعية بسلوك المراهق(براهيمي و بوعمامة 2017 ، ص 68).

حسب مدرسة التحليل النفسي لفرويد وأتباعه، فان ضعف وغياب الأنا الأعلى المتمثل في الضمير الاجتماعي ، ليس السبب الرئيسي للانحراف والسلوك الإجرامي ، وكذلك ليس مرده غياب القيم والوعي الاجتماعي ، ولكنه يعود كما دلت الدراسات والأبحاث إلى تسلط وقمع الأنا الاجتماعي ، لذلك يمكن القول إن المعاناة قد تدفع ببعض الأفراد نحو السلوك العدواني ، وهذا الاقتراب السيكولوجي يتفق مع الطرح السوسيولوجي القائل بإقبال بعض الأفراد على السلوكيات غير السوية ،كالعنف والإجرام ما هو في الحقيقة إلا تعبير وانعكاس عن ما يحث في البيئة الاجتماعية .. (معتوق ، 2008، ص123)

العنف فعل اجتماعي بالدرجة الأولى، يصدر عن ذات باثولوجية أو حتى سوية ، له بعد نفسي ، يمكن تناوله بالبحث في حقل الدراسات السيكولوجية ، كأحد القضايا الاجتماعية المعبرة عن جانب مهم من الحياة النفسية للإنسان ،

العنف حسب الطرح السيكولوجي سلوك فردي أو جماعي، يحمل معاني التوتر والانفجار، نتيجة عوامل متعددة .. وهذا ما يمنح لظاهرة العنف بعض السمات الخاصة التي يضطلع بالبحث فيها علم النفس، وعلم النفس الاجتماعي . (امجيطنة ، 2018 ، ص 143)

د/ مراحل النمو (النظرية النفسية الاجتماعية):

تستمد نظرية النمو النفسي الاجتماعي لإريكسون جذورها من مدرسة التحليل النفسي لفرويد، لكنها ترتبط بالاتجاه الاجتماعي بشكل كبير، حيث أعادت بناء وصياغة مفاهيم التحليل النفسي ، على ضوء تأثير الجوانب الاجتماعية ، والتغيرات الثقافية الحديثة، قدم إيركسون للفرد نمطا جديدا في علاقاته مع الآخرين ، وخاصة في الأسرة لتكوين الفرد الاجتماعي، حيث يؤكد على ضرورة الاهتمام بالإثارة النفسية الاجتماعية للنمو الإنساني ، ومن ذلك أن الفرد ينموا وينتقل إلى مرحلة جديدة ، بمجرَّد أن يكون مستعدًا لذلك بيولوجيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا ، ويرى أن الخبرات العضوية توفّر الأساس لحالة من الثقة النفسية ، غالبا ما تساعد في تشكيل الخبرات الاجتماعية الأولى ، التي تخزن في عقل الطفل ، لتحدد أشكال التوافق الاجتماعي ، بمعنى أن الطفل الذي يقابل المجتمع بفمه في مراحله الأولى من النمو ، من خلال ما يعرف بالنموذج السلوكي الانضمامي ، وهو يتلقى الرعاية الاجتماعية اللازمة ، من إطعام وحماية لأجل الراحة الجسدية والنفسية ، هي التي تحدد شعور الجسم الصغير وارتباطه بحياته الاجتماعية الأولى (عبد المعطي و قناوي ، 2001 ، ص ص : 73 – 76)

4. علم النفس الاجتماعي حقل معرفي متميز بين علم النفس والاجتماع :

نشأ وتطور علم النفس الاجتماعي ، بفضل مجهودات علماء النفس وعلماء الاجتماع ، لأن هذا العلم وقف في موضوعاته على الحدود الفاصلة بين العلمين ، فقد كانت هناك وجهة نظر تعبر عن تيارين :

- سيطرة الاتجاه الاجتماعي

- سيطرة الاتجاه النفسي

يعتبر كل من لازروس و هيرمان ستينثال من المؤسسين الأوائل لعم النفس الاجتماعي ، إذ قسما البحث في هذا العلم إلى ميدانين رئيسيين هما :

- الأول: يبحث في عوامل تفسير سلوك كل الجماعات.

- الثاني: يبحث في عوامل تفسير سلوك كل جماعة بعينها.

تدعيما لهذا التراكم المعرفي ، بدأ التجريب في علم النفس الاجتماعي سنة 1898 عن طريق نورمان تريبليت كامتداد للدراسات التجريبية لعلم النفس على يد عالم النفس فونت (بني جابر، 2011 ، ص 27)

يتركز اهتمام علم النفس الاجتماعي كحقل معرفي متميز ، في الطبيعة الاجتماعية للفرد ، أي تحليل نماذج العلاقات الاجتماعية، ومحاولة فهم سلوك وتفكير ومشاعر الفرد ، التي تتأثر بالوجود الاجتماعي الحقيقي للآخرين، (أبو النيل،

2013، ص 139)، وكمحاولة لفهم الظاهرة الاجتماعية بأبعادها النفسية قطع البحث في علم النفس الاجتماعي ، خطوات عديدة قبل أن يصل إلى المرحلة الراهنة ، التي أصبح فيها أداة فعالة ، لفهم مجالات وقضايا مختلفة ، تخص الحياة الاجتماعية ، من اجل معالجة المشاكل القطاعية ، لذلك أصبح من غير الممكن اليوم ، الاستغناء عن الباحث والخبير النفسي الاجتماعي ، في كثير من المجالات الإدارية ، الاقتصادية ، التربوية.. (حدية ، 2013 ، ص 4)

وفي ما يلي أهم مواضيع البحوث النفسية الاجتماعية ، التي تم تناولها علم النفس الاجتماعي نقلا عن ريفز ، ريتشاردسون ، هندرك سنة 1979 في مجلات ودوريات :

الموضوع	عدد البحوث في سنة واحدة
العدوان	33
الاتجاهات	28
الاندماج الاجتماعي	34
السلوك الاجتماعي	25
القيادة واتخاذ القرار	38
الاتصال غير اللفظي	19
الإدراك	14
الذات	11
الأدوار الجنسية	10
القيم الاجتماعية	24
التأثير الاجتماعي	10
النمو الاجتماعي	24

المصدر: أبو النيل ، 2013 ، ص 149 (بتصرف) .

أثرت البحوث والدراسات الغربية الحديثة وخاصة لدى توماس هوبز ، جاك روسو ، دافيد هيوم .. في معالجة المشكلات الناتجة عن التفاعل الاجتماعي بين الأفراد ، وذلك باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ، إضافة إلى إسهامات رائد مدرسة التحليل النفسي سيجموند فرويد وأتباعه ، فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية ، وكذا واطسون وكرت لوين ، الذي أشار إلى ما يسمى بالمجال النفسي ، الذي يتناول الفرد كجزء من المواقف الاجتماعية التي تؤثر عليه ، وتدفعه نحو سلوك اجتماعي معين . (واكد، 2017، ص 62) ورغم المشكلات التي اعترضت علم النفس المعاصر والتي نوجزها :

- صعوبة وجود المفاهيم العامة نظرا لتعقد وامتداد المواضيع البحثية.
- اختلافات مداخل الباحثين.
- قلة الإنتاج البحثي كدراسات سابقة.
- غياب النظرية كإطار مرجعي.
- الاستقلال المعرفي (أبو النيل، 2013، ص ص 137-138).

وصل المنحنى النقدي الفكري ، إلى مجال علم النفس الاجتماعي ، في الكثير من القضايا ، أهمها الطبيعة الاجتماعية للإنسان ، حيث يقوم هذا العلم بدور هام ، وذلك بتطوير أساليب فعالة ، لاكتشاف حقيقة أفكارنا القائمة على

أساس الفهم العام ، أو تلك المتعلقة بحقيقة السلوك المتبادل بين الأفراد ، وعندما ننظر إلى الاختلافات القائمة في تفسير الطبيعة الاجتماعية للإنسان من طرف الباحثين ، نجد أن بعض المفكرين افترضوا أن الإنسان عقلاني تماما ، حاد إلى ابعد الحدود ، عدواني بشكل خاص ، عاطفي في كثير من الأحيان ، مسالم بالأساس ، صاحب أوهام وأماني ، ذو بصيرة صادقة .. كل ذلك كان حول بحث العلماء ، عن ما سماه جوردن البورت من جامعة هارفاردر" البسيط والرئيسي " في طبيعة الإنسان الاجتماعية ، أي على نمط قانون اوم الفلسفي بحيث يكون بسيطا قدر الإمكان ، ولكنه على أيضا قدر الإمكان (لامبرت، 1993، ص ص 18-19).

يؤكد ماكس فيبر رائد علم الاجتماع ، على أهمية علم النفس الاجتماعي، حيث كتب يقول " في الحالات الملموسة، يمكن أن يسهم التحليل السيكولوجي إسهاما عظيم القيمة، في تعميق معرفتنا بالشروط التاريخية الثقافية للنظم الاجتماعية، فمن خلال البحث النفسي الاجتماعي سوف نتمكن من زيادة فهمنا للنظم بطريقة نفسية، لكن مع ذلك لا تستنبط هذه النظم من القوانين السيكولوجية، أو تفسر بواسطة وقائع نفسية أولية.(علي محمد،2004، ص 302).

خاتمة:

في النهاية أفضت البحوث والدراسات، إلى ميلاد وتشكل علم النفس الاجتماعي كعلم مستقل يحمل ملامح علم النفس المفتقد للطبيعة الاجتماعية ويقترب كثيرا من علم الاجتماع ... والى اعتبار علم النفس الاجتماعي، فرعا من فروع علم النفس، يتناول بالدراسة والتحليل، السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة ، كاستجابة للمثيرات الاجتماعية، وهدفه في ذلك بناء مجتمع أفضل، قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة ..(واكد،2017، ص 66).

المراجع :

1- باللغة العربية

1. ابو النيل محمود السيد (2013)، **علم النفس الاجتماعي عربيا وعالميا** ، جمهورية مصر العربية ، مكتبة الانجلو مصرية.
2. امجيطنة عبد الحق **(1**/2018)، **مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسيولوجية بين الطرح العلمي والايديولوجي، الجزائر**، المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3 المجلد 6 العدد 11.
3. السويسي كوثر (2016)، **التمثّلات الاجتماعية : مقاربة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهُوِيّة**، المجلة العربية لعلم النفس ،المجلد 1العدد1 / 6، فاس المغرب، مطبعة ووراقة بلال.
4. بوالفلفل ابراهيم (2018/6)، **المقاربة النظرية للانتحار محاولة تقييمية نقدية، الجزائر**، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية ، العدد 6 .
5. بني جابر جودة (2011)، **علم النفس الاجتماعي** ط1 ، عمان الأردن ، دار الثقافة.
6. باتشيرجي أنول (2015)، **بحوث العلوم الاجتماعية المبادئ والمناهج والممارسات** ط2، ترجمة خالد بن ناصر آل حيان ، عمان الاردن، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
7. براهيمي شلبي و بوعمامة اسماعيل (2017) ، **المنظور الإدماجي الانتقائي في الإرشاد النفسي ، الجزائر**، مجلة مجتمع تربية عمل العدد 4 /12 جامعة مولود معمري تيزي وزو .
8. تيماشيف نيكولا **(1996)، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها** ، الإسكندرية ، مصر ، دار المعرفة الجامعية .

9. جونز فيليب (2015)، **النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية** ، ط1 ، ترجمة محمد ياسر الخواجة ، القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع.
10. حمداوي جميل (2015)، **جهود ماكس فيبر في مجال السوسيولوجيا** ، ط1 ، مكتبة سوق عكاظ نقلا عن الموقع http://www.sooqukaz.com/ بتاريخ 2019 /6/28.
11. حدية المصطفى (2013)، **قضايا في علم النفس الاجتماع** ، المغرب ، مطبعة الرباط.
12. عناد مبارك بشرى (9 /2012)، **التمثيلات الاجتماعية وعلاقتها بالتوجه نحو السيادة** ، العراق ، مجلة الفاتح ، جامعة ديالي ، العدد51 .
13. عبد المعطي حسن مصطفى و محمد قناوي هدى (2001) ، **علم نفس النمو** ج1، القاهرة مصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
14. علي محمد محمد (2004) ، **تاريخ علم الاجتماع** ، الإسكندرية ، مصر ، دار المعرفة الجامعية.
15. عماد عبد الغني (2019)، **سوسيولوجيا الهوية** ط2 ، بيروت لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية
16. لامبورت وليم و و لامبرت ولاس (1993)، ترجمة سلوى الملا، **علم النفس الاجتماعي** ط2، بيروت لبنان، دار الشروق.
17. معتوق جمال (2008)، **مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي ج1، الجزائر**، دار ابن مرابط للطباعة والنشر.
18. مارشال جوردون (2007) ، **موسوعة علم الاجتماع** المجلد الأول، الطبعة الثانية، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، مصر، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة.
19. محمود السيد أبو النيل (2013)، **علم النفس الاجتماعي عربيا وعالميا**، جمهورية مصر العربية، مكتبة الانجلومصرية
20. م ليان جينيفر (2013) ، **تفكيك دوركايم** ، ترجمة محمود احمد عبد الله، مصر، المركز القومي للترجمة
21. محمد صبحي نجم (1999)، **المدخل إلى علم الإجرام والعقاب**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
22. واكد نعيمة (2017)، **محاضرات في علم النفس الاجتماعي، الجزائر**، مركز البحوث والدراسات حول الجزائر و العالم .

المراجع الاجنبية:

23 Gabler Jay et Trémoulinas Alexis .(2013) . **La Sociologie pour les Nuls** . Paris. Éditions First- Gründ .

24 Marie Brohm Jean (1 /2004) . **La posture critique en sociologie de l'éducation** . Paris . Éducation et Sociétés. n° 13 .

25 Letonturie Éric r .(2005) **. Sociologie des réseaux sociaux et psychologie sociale: tarde.simmel et elias** . paris . hermès 41. Editions c.n.r.s.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

مداس أحمد، عروي مختار، (2020)، **العامل السيكولوجي في الدراسات والبحوث السوسيولوجية - (الاقتراب النظري بين علم النفس وعلم الاجتماع)**، مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، المجلد 11(العدد 2)، الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص 180-191.